أن المشركين نزلوا بأحد يوم الأربعاء فاستشار النبي A أصحابه ودعا عبد ا بن أبي ابن سلول ولم يدعه قط قبلها فاستشاره . فقال عبد ا وأكثر الأنصار : يا رسول ا أقم بالمدينة ولا تخرج إليهم فوا ما خرجنا منها إلى عدو قط إلا أصاب منا ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه فكيف وأنت فينا فدعهم فإن أقاموا بشر محبس وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وإن رجعوا رجعوا خائبين وقال بعضهم : يا رسول ا اخرج بنا إلى هؤلاء الأكلب لا يرون أنا قد جبنا عنهم . فقال A : إني قد رأيت في منامي بقرا مذبحة حولي فأولتها خيرا ورأيت في ذباب سيفي ثلما فأولته هزيمة ورأيت كأني أدخلت يدي في درع حصينة فأولتها المدينة فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم . فقال رجال من المسلمين قد فاتتهم بدر وأكرمهم ا بالشهادة يوم أحد : اخرج بنا إلى أعدائنا . فلم يزالوا به حتى دخل فلبس لأمته . فلما رأوه قد لبس لأمته ندموا وقالوا : بئسما صنعنا نشير على رسول ا A والوحي يأتيه وقالوا : اصنع يا رسول ا ما رأيت فقال : لا ينبغي لنبي أن يلبس لأمته فيضعها حتى يقاتل فخرج يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة وأصبح بالشعب من أحد يوم السبت للنصف من شوال فمشى على رجليه فجعل يصف أصحابه للقتال كأنما يقوم بهم القدح . إن رأى صدرا خارجا قال : تأخر وكان نزوله في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره إلى أحد ؛ وأمر عبد ا بن جبير على الرماة وقال لهم : " انضحوا عنا بالنبل لا يأتونا من ورائنا " " تبوئ المؤمنين " تنزلهم . وقرأ عبد ا للمؤمنين بمعنى تسوي لهم وتهيء " مقاعد للقتال " مواطن ومواقف . وقد اتسع في قعد وقام حتى أجريا مجرى صار . واستعمل المقعد والمقام في معنى المكان . ومنه قوله تعالى : " في مقعد صدق " القمر : 55 ، " قبل أن تقوم من مقامك " النمل : 39 ، من مجلسك وموضع حكمك " وا سميع " لأقوالكم عليم بنياتكم وضمائركم " إذ همت " بدل من " وإذ غدوت " أو عمل فيه معنى " سميع عليم " . والطائفتان حيان من الأنصار : بنو سلمة من الخزرج وبنو الحارثة من الأوس وهما الجناحان . خرج رسول ا A في ألف وقيل : في تسعمائة وخمسين والمشركون في ثلاثة آلاف ووعدهم الفتح إن صبروا فانخزل عبد ا بن أبي بثلث الناس وقال : يا قوم علام نقتل أنفسنا وأولادنا ؟ فتبعهم عمرو بن حزم الأنصاري فقال : أنشدكم ا في نبيكم وأنفسكم فقال عبد ا : لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيان باتعباع عبد ا فعصمهم ا فمضوا مع رسول ا A . وعن ابن عباس Bه : أضمروا أن يرجعوا فعزم ا لهم على الرشد فثبتوا . والظاهر أنها ما كانت إلا همة وحديث نفس وكما لا تخلو النفس عند الشدة من بعض الهلع ثم يردها صاحبها إلى الثبات والصبر ويوطنها على احتمال

المكروه كما قال عمرو ابن الأطنابة : .

أقول لها إذا جشأت وجاشت ... مكانك تحمدي أو تستريحي .

حتى قال معاوية : عليكم بحفظ الشعر فقد كدت أضع رجلي في الركاب يوم صفين فما ثبت مني إلا قول عمرو ابن الأطنابة ولو كانت عزيمة لما ثبتت معها الولاية وا تعالى يقول : " وا وليهما " ويجوز أن راد : وا ناصرهما ومتولي أمرهما فما لهما تفشلان ولا تتوكلان على ا فإن قلت فما معنى ما روي من قول بعضهم عند نزول الآية : وا ما يسرنا أنا لم نهم بالذي هممنا به وقد أخبرنا ا بأنه ولينا ؟ . قلت : معنى ذلك فرط الاستبشار بما حصل لهم من الشرف بثناء ا وإنزاله فيهم آية ناطقة بصحة الولاية وأن تلك الهمة غير المأخوذ بها - لأنها لم تكن عن عزيمة وتصميم - كانت سببا لنزولهما . والفشل : الجبن والخور . وقرأ عبد ا : وا وليهم كقوله " وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا " الحجرات : 9